

أضواء البيان

. @ 51 @ .

وزهب آخرون إلى أن الملائكة أفضل ، واحتج من فضل الملائكة بأنهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وقوله لا يعصون إلا ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . وقوله : { قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا قَوْلُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا نَسِي مَلَكٌ } . . .

وبما في البخاري يقول الله : (من ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه) وهذا نص على أن الملائكة أفضل خير من ملا الأرض . . .

واحتج من فضل بني آدم بقوله تعالى : { إِنَّ السَّادِّينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ } ، بالهمز من برأ الله الخلق ، وقوله صلى الله عليه وسلم : (إن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم) أخرجه أبو داود . . .

وبأن الله يباهي بأهل عرفات الملائكة ، ولا يباهي إلا بالأفضل والله تعالى أعلم . . . وقال بعض العلماء : ولا طريق إلى القطع بأن الملائكة خير منهم ، لأن طريق ذلك خبر الله ، وخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو إجماع الأمة . . . وليس ها هنا شيء من ذلك خلافاً للقدرية والقاضي أبي بكر ، حيث قالوا : الملائكة أفضل . قال : وأما من قال من أصحابنا والشيعة : إن الأنبياء أفضل ، لأن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم ، إلى آخره . . . ثم رد هذا الاستدلال . . .

وقد سقنا هذا البحث لبيان الخلاف في هذه المسألة المشتمل عليها لفظ البرية ، وأعتقد أن المفاضلة جزئية لا كلية ، وذلك أن جنس البشر خلاف جنس الملائكة ، والملائكة فيهم النص بأنهم { عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ } ، والبشر فيهم النص { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ } ، والفرق بينهما ، كالفرق بين الاسم والفعل في الدلالة . . . ففي الملائكة بالاسم : مكرمون ، وهو يدل على الدوام والثبوت ، وفي بني آدم كرمنا ، وهو يدل على التجدد والحدوث . . .

وهذا هو الواقع ، فالتكريم ثابت ولازم ودائم للملائكة بخلافه في بني آدم إذ فيهم